جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة –

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

السنة الجامعية 2023-2024

مقياس : المجتمع الجزائري وفعالياته **د/ فهيمة عمريوي**

السنة الثانية ماستر

المحاضرة الثالثة: الزراعة في الجزائر أثناء العهد العثماني

طبيعة الملكية بالجزائر في العهد العثماني يمكن تقسم الملكية في الجزائر أثناء الفترة العثمانية إلى أربعة أصناف وهي الملكيات الخاصة، وملكيات البايلك، والأراضي المشاعة، والأراضي الموقوفة.

- **الملكيات الخاصة:** يقصد بها الملكيات التي يستغلها أصحابها مباشرة وملزمين اتجاه السلطة بدفع فريضة العشر والزكاة ويتصف هذا النوع بعدم الاستقرار وصغر المساحة لخضوعها لأحكام الإرث والبيع والشراء، وأيضا تعرضها للمصادرة والحيازة من طرف الحكام. أما عن موقعها فأغلبها واقعة في المناطق الجبلية المكتظة بالسكان وبجوار المدن كمدينة الجزائر والمدية وقسنطينة ووهران.
- **ملكيات البايلك:** هي الأراضي التي تعود ملكيتها للدولة ويحق للحكام التصرف فيها، وتم إلحاقها بالبايلك بعدة طرق منها الشراء، والمصادرة، ووضع اليد عن طريق مؤسسة بيت المال في حالة الشغور، أو في حالة ترحيل السكان المقيمين عليها عند امتناعهم عن دفع الضرائب.

فمن حيث موقعها فأغلبها واقعة بدار السلطان وقسنطينة ووهران فتعرف في دار السلطان بأحواش البايلك تتوزع على 13 حوش، وتعرف في بايلك الشرق بالعزل.

أما استغلالها فيتم عن طريق الحكام الذين يستخدمون الخماسة أو اللجوء إلى تسخير قبائل الرعية في العمل التطوعي المعروف بالتويزة. وفي حالة تعذر استغلالها تعطى لأصحاب النفوذ والمكانة مثل المرابطين وشيوخ القبائل، وفي حالات أخرى تعطى للمخازنية مقابل خدمات عسكرية وإدارية مع إعفائها من دفع الضرائب ماعدا ضريبة العشر. كما لجأت السلطة إلى كراء الأراضي لسكان الدواوير المجاورة أو ما يعرف بالحكر.

- **الأراضي المشاعة:** في هذا النوع تكون الملكية جماعية ويعود حق التصرف فيها إلى سكان القبيلة أو العشيرة تعرف في بايلك الشرق بأراضي العرش، أما كيفية استغلالها فتكون حسب مقدرة وإمكانيات أفراد القبيلة مع ترك جزء منها للرعي. ويمكن لشيخ القبيلة تسليمها لشخص أخر في حالة حدوث إهمال من طرف مستغليها. وتفرض السلطة على هذا النوع من الأراضي عدة أنواع من الضرائب منها غرامة سنوية تدفع نقدا وفي بعض الأحيان تأخذ منها ضريبة اللزمة والمعونة تستقطع من المحصول، وايضا تفرض عليها بعض الضرائب الفصلية كضيفة للداي وضيفة الدنوش والبشارة وغيرها والجدير بالذكر أن أراضي العرش الواقعة في والجهات الصحراوية والمناطق الجبلية لم تكن تدفع هذه الضرائب فشنت عليها السلطة في أواخر العهد العثماني عدة غارات بهدف إلزامها بدفع الضرائب.
- **أراضي الوقف** هي الأراضي التي قام أصحابها بتحيسها لعدة مؤسسات وقفية ويتولى النظار التصرف فيها وفقا لشروط الواقف وكان هذا النوع من الأراضي يمثل ثلاثة أرباع الأراضي الصالحة للزراعة بالمناطق الخاضعة مباشرة للبايلك وعموما فإن هذا النوع يتمتع بالحصانة فلا تباع ولا تشترى ولا تصادر ولا تخضع لأي ضريبة.

2- **العوامل المساعدة في تطور الزراعة**

توفرت الجزائر على عدة مقومات زراعية منها اتساع الأراضي الزراعية وخصوبتها واعتدال مناخها وتنوع تضاريسها، وتنقسم الأراضي حسب نوعيتها وموقعها لثلاثة أنواع: المنطقة الشمالية تتميز بانتشار السهول ووفرة المياه مما جعل أراضيها أكثر خصوبة من غيرها ومنطقة الهضاب العليا المتميزة بارتفاع أراضيها ووقوعها بين سلسلتين جبليتين سلسلة الأطلس التلي وسلسلة الأطلس الصحراوي، أما المنطقة الصحراوية فهي تتميز بشساعة مساحتها وكثبانها الرملية، مع انتشار عدد من الواحات كبسكرة.

ومن مظاهر هذا التنوع نذكر حواضر بايلك الغرب كوهران و مازونة ومعسكر و مستغانم وندرمة فمواقعها متنوعة نجد منها الساحلية، والداخلية، كما أنّها جميعا تتوفّر على أحواز هامّة و تقع ضمن أراضي زراعية متنوعة و خصبة، منها المسقية و غير المسقية، وبذلك شكلت الأحواز و الفحوص موارد اقتصادية مهمة. فالموقع الإستراتيجي جعل من هذه المدن ذات أهميّة، حيث تعتبر ملتقى طرق تجارية هامة. تمتد من إفريقيا إلى أوربا، و من الشرق إلى

الغرب. وقد ساهمت هذه الميزات في تدعيم و تنشيط الجوانب الاقتصادية و البشرية، لكونها شكلت نقاط جذب للعنصر البشري.

رغم توفر الإمكانيات الطبيعية وتشجيع بعض الحكام وأهمية العنصر الأندلسي إلى أن الزراعة في الجزائر في الفترة العثمانية عرفت تأخر ملحوظ يرجع إلى عدة عوامل نوجزها فيما يلي:

- عدم اهتمام السلطة بالفلاحة بقدر اهتمامها بالجانب العسكري والسياسي.
- الأوبئة والمجاعات والزلازل ولعل أخطرها الوباء المعروف بوباء السبع سنوات من 1818-1824. فقد أدى هذا الوضع الصحي إلى تناقص السكان خاصة في الأرياف اختفاء بعض المواد الأولية كالملابس الصوفية لعدم وجود من يقوم بهذه الخدمة وأيضا ارتفاع أسعارها وغلاء المعيشة كان إحدى أسباب قيام الثورات المحلية التي ظهرت مع بداية القرن التاسع عشر كثورة إبن الأحرش في الشرق والثورة الدرقاوية في الغرب والتيجانية في الجنوب.
- أسلوب الحياة ونمط العيش الذي أدى إلى الاعتماد على زراعة معيشية استهلاكية ينعدم فيها الربح التجاري بحيث يقتصر فيها الفلاح على تلبية حاجياته اليومية وتلبية مطالب البايلك.
- اعتماد الفلاحون على الوسائل التقليدية كالمحراث والمنجل، واستعمال فضلات الحيوانات في تخصيب التربة. والأكيد أن هذه الأساليب حالت دون معرفة واستعمال التقنيات المتطورة مثل المراعي الاصطناعية لإنتاج العلف الاحتياطي، وبناء السدود، والزراعات المروية باستثناء ما قام به الأندلسيون وبعض الحكام منهم يحى أغا الذي سنتعرض له في العنصر الموالي.
- نضيف إلى ذلك أن السلطة عمدت على رفع الضرائب المفروضة على الفلاحين رغبة منها توفير موارد للخزينة خاصة بعد تراجع النشاط البحري وأدت هذه السياسة إلى هجرة الفلاحين لأراضيهم ولجوؤهم للجبال والصحاري.
- احتكار الأراضي الخصبة في أيدي فئة قليلة من الطبقة الحاكمة والمخازنية والكراغلة وإليهم ينتمي حمدان بن عثمان خوجة الذي امتلك أراضي شاسعة في متيجة وتعرض بنوع من التفصيل في كتابه المرآة إلى مصيرها بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر. فعن طريق الاستيلاء على الأراضي المنتجة للحبوب وتسخير الفلاحين للإنتاج سعى الحكام إلى التحكم في زراعة الحبوب وتوجيهها نحو التصدير عن طريق وكلاء البايلك والمتعاملين معهم من كبار التجار اليهود وبعض الشركات الاحتكارية.

3- طبيعة الإنتاج الزراعي: وتتمثل في

الحبوب أدى تنوع التضاريس والمناخ إلى تنوع الإنتاج الزراعي منها، القمح المنتج في سهول قسنطينة ومعسكر وعنابة ومتيجة ومعسكر وتلمسان والشلف ووهران. وعموما فقد عملت السلطة على السيطرة على المساحات المخصصة لزراعة الحبوب، وكان بعض الإنتاج من هذه المادة يستهلك محليا والبعض الأخر يصدر للخارج كما سبق وأن تعرضنا له في التجارة.

الأرز والقطن والكتان هي منتوجات ذات طابع تجاري فالأرز ينتج في مليانة وبالقرب من معسكر ومستغانم ومتيجة وتنتج منه الجزائر حوالي 6 ألاف قنطار سنويا وهي كافية للاستهلاك المحلي، والقطن في جهات الشلف ومستغانم والكتان في البليدة والتبغ في عنابة ومدينة الجزائر وبعض النواحي الصحراوية. إضافة إلى مزروعات أخرى ذات طابع تجاري كالعسل والشمع المتوفر في عنابة والقالة.

الأشجار المثمرة: منها التين البرتقال والعنب والخوخ وحب الملوك فاشتهرت برشك ونواحيها بإنتاج التين وشرشال والقليعة بزراعة التوت الأبيض والأسود والبرتقال وحقول العنب في البليدة والجزائر والزيتون في نواحي عنابة ومنطقة القبائل.

البقول والخضار: منتشرة بشكل خاص في المناطق الواقعة الواقعة خارج المدن، وكذا المناطق الجبلية كمنطقة القبائل والأوراس والأطلس البليدي حيث توجد الجنين والرقايع والبحاير، ونذكر كنموذج عن ذلك فحص مدينة الجزائر ومن الخضار نذكر الطماطم والخيار والبصل والبطيخ وغيرها.

الأشجار الغابية: تغطي مساحات شاسعة من جهات التل والهضاب العليا ومرتفعات الأطلس الصحراوي، كما تم الاستفادة من الغابات الممتدة من القبائل الغربية إلى القل في تزويد ورشات السفن بالأخشاب وتموين المدن بالفحم وهذه السياسة أدت إلى إتلاف العديد من الغابات. إضافة إلى هذا استفادت انجلترا من حق قطع أشجار الغابات الجيدة عام 1817 مقابل تعهدهم بدفع إتاوة سنوية للجزائر.

الثروة الحيوانية: تميزت بتنوعها نتيجة تنوع المناخ والتضاريس بحيث انتشرت الجمال والأغنام في منطقة الهضاب العليا ومشارف الصحراء، ونجد الأبقار في المنطقة التلية والمعز والخيول والبغال منتشرة في منطقة القبائل، والجدير بالذكر أن تنوع الثروة الحيوانية جعل الجزائر من الدول المصدرة للمنتجات الحيوانية كالصوف والجلود. كما توفرت الجزائر على الأسماك غير أن استهلاكها كان قليل مقارنة باستهلاك لحوم الأغنام.

ورغم الصعوبات السابقة الذكر إلا أن الإنتاج الزراعي الحيواني عرفا انتعاشا مع هجرة الأندلسيين إلى الجزائر فكان لهم الفضل بتطوير تقنيات الري وإنشاء الصهاريج وبناء العيون وجلب المياه للمدن. كما عملوا على إدخال محاصيل جديدة للجزائر لم تكن معروفة من قبل. نضيف إلى ذلك تشجيع بعض الحكام للفلاحة منهم الباي محمد بن عثمان، الذي شجع زراعة الحبوب في بايلك الغرب وصالح باي الذي يعد من أهم بايات بايلك الشرق إذ اهتم بجميع الميادين منها الزراعة.

ومن المهتمين بمجال الفلاحة وتطويرها نذكر أيضا يحي بن مصطفى الذي تولى منصب أغا الصبايحية من 1818 إلى 1828 حيث كانت له أملاك واسعة في أحواش بن عمار والرغاية وموزاية وفي يسر الوديان، إضافة إلى البحاير التي كان يمتلكها سواء في فحوص دار السلطان منها فحص تيلاوملي، أو في المناطق القريبة من دار السلطان كالبليدة التي كانت له فيها بحيرة معروفة ببحيرة بوطرطورة، واحتوت أيضا على برج للحراسة ومنابع للمياه، وقد خصص لخدمة الأراضي عمالاً مهرة ونجح في تحسين أنواعًا جيدة من المزورعات، كما اهتم بالمياه الضرورية للنشاط الفلاحي والشرب وغيرها، وعمل على تطوير الماشية والخيول، التي كان من أكبر هُواتها، فحوض رغاية مثلا كان يضم ما لا يقل عن 200 حصان من السلالات العربية الأصيلة.